سور مدينة سامراء القديم
دراسة تاريخية آثارية

Wall Old City of Samarra
Archaeological historical study

أ.م. د. رجوان فيصل الميالي

جامعة القادسية

كلية الآثار

Assist. prof. Dr. Rajwan Faisal Al - Mayali

University of AL-Qadisiyah

Faculty of Archaeology

سور مدينة سامراء القديم
دراسة تاريخية آثارية

الملخص:

يمثل الأمن والأمان قيمة أساسية لنشأة المجتمع المدني المستقر، وانطلاقاً من تلك الأهمية يعد التحصين بشكل عام والأسوار بشكل خاص من المعايير الحضارية التي تميز المدن عن غيرها، واعتبر المشرع الإسلامي بناء الأسوار والتحصينات الأخرىٰ مثل الأبراج والقلاع والحصون من الوسائل التي تساعد علىٰ حفظ النفس والمال والعرض، وصنفها من ضمن البناء الواجب لاسيما إذ كانت الحاجة ملحة لاستخدامها في الدفاع عن الحرمات، وهذا ما أدركه القائمون علىٰ إدارة مدينة سامراء، فأحيطت بسور يحميها ويؤمنها ويحفظ مقدساتها وأهلها، علىٰ الرغم من أن تطور عمارة هذا السور من فترة إلىٰ أخرىٰ كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتطور وسائل الدفاع والهجوم واساليبها كما ان هذه الوسائل تنظم العراقيل بين المهاجمين والمدافعين لمنع المهاجمين من المضي في تقدمهم، وتمكين المدافعين في الوقت نفسه من أن يمطروا المهاجمين وابلاً من مقذوفاتهم.

وبناءً علىٰ تلك التطورات في فن بناء الأسوار جاء هذا البحث ليسلط الضوء علىٰ البدايات الأولىٰ لبناء هذا السور، والادوار البنائية والتجديدات والإصلاحات التي مرّ بها، كما يتضمن هذا البحث كل التفصيلات العمارية التي من شأنها أن تطور عملية الدفاع والتحصين للمدينة، وكذلك الكشف عن جميع العناصر العمارية الحربية التي تشترك بعملها مع هيكل السور مثل الأبراج والمزاغل و السقاطات وغيرها.

الكلمات المفتاحية:

أسوار ،سامراء، ترميم، وصف.

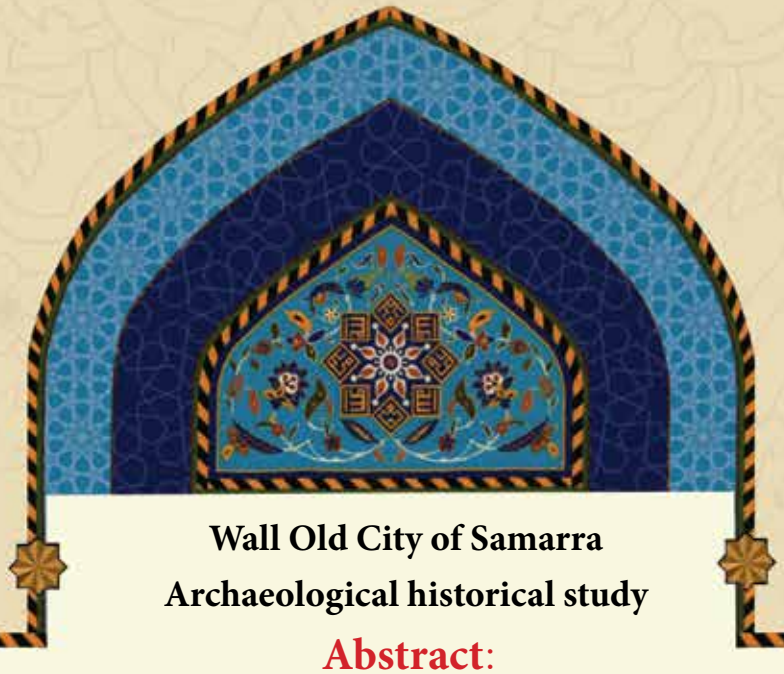

Wall Old City of Samarra
Archaeological historical study

Abstract:

Security and safety represent an essential value for the institution of a stable civil society، due to that importance، fortification in general and walls، in particular، are among the civilizational criteria that distinguish it from others.Building walls and other fortifications، such as towers، forts، and castles، are the Islamic projects that used to protect the people property and their families. And classified it among the necessary construction، particularly if the urgent need to utilize it to defend the sanctuaries، and this was realized by those who in charge of the administration of Samarra city، that is why Samarra city surrounded by a wall that protects and secures it، and to maintain its sanctities and people، although the architecture of this wall evolved from time to time and it is closely connected to the development of defence and attack techniques، these methods also organize the obstacles between attackers and defenders to prevent attackers from moving forward and at the same time enable the defenders to attack the assailants with a barrage of their projectiles.

Based on these evolutions in the art of building the walls، this research sheds light on the beginnings of building the wall of Samarra city، It highlights the building roles، renovations، and reforms that the wall of Samarra city went through. This research also includes all the architectural details that will develop the fortification techniques of the city، as well as the concentration on all Military architectural elements، which shares its work with the structure of the fence، towers، sliders، laps، and so on.

key words:

walls، Samarra، Restoration، descriptions،

المقدمة

تعد مدينة سامراء من أمهات المدن العراقية، وبلغت أوج شهرتها عندما أصبحت عاصمة الدولة العربية الإسلامية في أيام المعتصم بالله العباسي سنة ٢٢١هـ، وكذلك عندما تبركت أرضها بدفن جثامين الإمامين المعصومين الإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكري عليهما السلام حيث أصبحت مدينة سامراء من المدن المقدسة التي لها مكانة دينية مرموقة بالإضافة إلى خلفيتها التاريخية العريقة.

وفق تلك المعطيات أصبح مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام نواة تشكيل المدينة الحديثة في القرنين الثالث والرابع الهجري، وأخذت العمارة تزدحم حول المرقدين الشريفين وتزداد يوماً بعد يوم فظهرت الحاجة العمارية وهي تدفع باتجاه إقامة السور الذي يعطي صفة الأمن والأمان للمدينة ويحميها من التعديات الخارجية ويضبط حركتها الداخلية والخارجية.

ويتضح مما سبق أن تحصين المدينة الإسلامية بشكل عام ومدينة سامراء بشكل خاص يعد معياراً أساسياً وحضرياً في تكوينها المادي لما يوفره من أمن لساكنيها على الرغم من اختلاف اساليب بناءها من عصر لأخر واختلاف ظروف بناءها والاهتمام بأنشائها وترميمها والمحافظة عليها، حيث كان لهذا السور أثر مباشر في تخطيط المدينة وتوزيع تكويناتها المعمارية وهيئة دروبها وازقتها وشوارعها.

المحور الأول

نبذة مختصرة عن نشأة المدينة وتطورها

تقع مدينة سامراء على الضفة الشرقية لنهر دجلة وتبعد نحو١١٨كم[١] إلى الشمال من العاصمة بغداد، يحدها من الشمال مدينة تكريت، ومن الجنوب بغداد، ومن الغرب الرمادي، ومن الشمال الغربي الموصل، ومن الجنوب الغربي ديالى[٢].

وقد ذكرها الحموي فقال عنها: (أنها مدينة بنيت لسام بن نوح ونسبت إليه بالفارسية سام راه، وكانت سامراء مدينة عتيقة من مدن الفرس تحمل اليها الأتاوة التي كانت موظفة لملك الفرس على

(١) B.R.Restricted، Iraq and the Persian culf ،naval inellicence، division، septemer، 1944، P.P 550 ـ 557.

(٢) مطر، سليم، ثويني، علي، مروان، نصرت، موسوعة المدائن العراقية، ص٢٦٣.

مجلة آداب سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

ملك الروم)[١] وقد ورد في المرشد: تبين من التحريات الأثرية أن خرائب سامراء والإشارات التاريخية منها موضع سامراء، وكانت قرىٰ ومستوطنات أثرية يرجع بعضها إلىٰ أدوار ما قبل التاريخ من الألف السادس قبل الميلاد[٢].

ومن المرجح كثيراً أن موضع سامراء مشتق من اسم مستوطن قديم عرفه الآشوريون والبابليون باسم (سرمورم summurim) أو باسم (سومارتا su ـ mur ـ ar ـ Ta)[٣].

كما ذكر اليعقوبي: (بأنها كانت في متقدم الأيام صحراء من أرض كورة الطيرهان ولا عمارة بها)[٤].

وأخذت مدينة سامراء تلفت اهتمام خلفاء بني العباس، فأراد أبو العباس السفاح تحصينها، فبنىٰ مدينة الأنبار بحذائها، كما أن أبا جعفر المنصور بعدما أسس مدينة بغداد حاول أن يوسع دائرة بنائها ويضم لها سامراء، وذلك ما أراده هارون الرشيد.

وبالفعل بنىٰ بها قصراً عظيماً الا أن تاريخ سامراء الحقيقي بدأ مع المعتصم العباسي سنة ٢٢١هـ، حيث أصبحت سامراء عاصمة الدولة العربية الإسلامية بدلاً من بغداد، وبذلك صارت من أكبر المدن وأعظمها وأجملها وأنفسها وأوسعها ملكاً حيث توالىٰ علىٰ حكمها ثمانية خلفاء من بني العباس، وعلىٰ ما يبدو أن المعتصم بالله حينما أقام بها أمر أن تسمىٰ (سر من رأىٰ) أي إن المرء يُسر حينما يراها، وبهذه الصيغة وجد اسمها علىٰ النقود العباسية المضروبة بها[٥] وأحضر المعتصم بالله لها الصناع وأهل المهن من سائر الأمصار، وشيد بها قصوراً ومساجد وبيوتاً وثكنات للجيش، وأفرد لكل صنف سوقاً، كما أقطع القطائع لرؤساء الأتراك[٦]، كما واصل المتوكل علىٰ الله بنفس الوتيرة إن لم تكن أكثر حيث بنىٰ القصور والدور وأحدث أكبر مسجد جامع بالعالم الإسلامي هو الجامع الكبير في سامراء، أو ما يسمىٰ

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) باقر، طه، سفر، فؤاد، المرشد إلىٰ مواطن الآثار والحضارة، ص١١.

(٣) بابان، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، ج١، ص١٤٧.

(٤) اليعقوبي، البلدان، ص٣٥.

(٥) الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص١٤٦ ـ ١٤٧.

(٦) سامراء، إصدار الآثار العراقية القديمة، ص١١ ـ ١٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

بجامع الجمعة وملويته الشهيرة وقيل: إن سامراء اتسعت وعمرت بشكل لا مثيل له في العالم حتى بلغت مساحة العمارة بكافة صنوفها مليون متر مربع[١].

وقد خربت مدينة سامراء سنة ٢٧٩هـ - ٨٩٢م وانتقلت عنها الخلافة وأقفلت راجعة إلى بغداد ولم يبق في سامراء الا موضع مشهد الإمامين الإمام علي الهادي ٢٥٤هـ - ٨٦٨م، والإمام الحسن العسكري عليهما السلام ٢٦٠هـ - ٨٧٤م، وسرداب بيت الأئمة عليهم السلام، ومحلة أخرى بعيدة يقال لها كرخ سامراء.

ومن الجدير بالذكر أن جميع خلفاء بني العباس الذين حكموا لم يبنوا سوراً في هذه المدينة، حيث ورد بهذا الشأن (لم يبن أي أحد منهم سوراً حول سامراء، ويرجح ذلك إلى أن الخلفاء لم يقدروا أخطار حصار قد يهددها بالمستقبل)[٢]، والواقع أن سامراء بعد أن ترك الخلفاء، إقامتهم فيها تدهورت أحوالها العمرانية وقل سكانها، ويتضح ذلك من وصف بلدانيي القرن الرابع الهجري[٣]، ومن مظاهر تدهور أحوالها أنها كانت من المراكز التي تسك فيها النقود منذ تأسيسها إلى سنة ٣٢٣هـ - ٩٣٥م، ثم توقف السك فيها منذ تلك السنة.

وبدأت مدينة سامراء الحديثة بالظهور وبدأ الناس يتخذون فيها المرقدين الشريفين مركزاً أو مزاراً تحف من حوله العمارات، وأنشئت الدور والمنازل العامة تباعاً، فحافظت المدينة الحديثة على عمرانها بعد زوال الأصل وحتى إلى ما بعد زوال وانقراض الدولة العباسية. وفي سنة ٣٣٣هـ - ٩٤٤م وسع المدينة ناصر الدولة الحمداني [٤] وأحاطها بسور، يعد أول سور يحيط بمدينة سامراء، وهذا ما

(١) للمزيد من التفصيل عن عمارة مدينة سامراء في عصور ازدهارها الذهبية ينظر: العميد، العمارة العباسية في سامراء، ص٨٥ ـ ١٠٢.

(٢) العلي، سامراء دراسة في النشأة والبنية السكانية، ص٨٨.

(٣) المنذري، التكملة في وفيات النقلة، مج٣، ص٢٢٥٩.

(٤) أبو محمد الحسن الملقب بـ (ناصر الدولة) ابن أبي الهيجاء، عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي، كان صاحب الموصل وما والاها، وتنقلت به الأحوال تارات إلى أن ملك الموصل بعد أن كان نائباً فيها عن أبيه، ثم لقبه الخليفة المتقي بالله بـ (ناصر الدولة)، وتوفي سنة ٣٥٨هـ في سجنه بقلعة اردمشت في شرقي الموصل على جبل الجودي وذلك بأمر من ولده (عدة الدولة) المعروف بـ (الغضنفر). للمزيد من التفصيل عن حياة ناصر الدولة. ينظر :- السامر، تاريخ الدولة الحمدانية في الموصل ،١٩٧٣، ص٥٨.

أكدته لنا أرجوزة سامراء بمطلعها:

ثم ابتدت في ضخم البنيان
لـ (ناصر الدولة من حمدان)
غداةَ حل سامراء وانبرى
يحـارب المعز عند عكبرا
فشيد الدور وشيد الجدث
خوفاً عليها من الهياجُ من حدث
وكلل الضريح بالستور
وأحاط سرّ من رأى بسور[١]

وفي سنة ٣٦٨هـ - ٩٧٨م شيد الملك عضد الدولة البويهي[٢] سوراً للمدينة التي اخذت بالاتساع والازدهار، إذ وصل عضد الدولة إلى سامراء، وكان له وقعة مع بختيار بن معز الدولة ابن أخيه عند قصر الجص قرب سامراء، فقتل بختيار[٣]، فلما دخلها أمر بعمارة الروضة البهية بالأخشاب السمينة من الساج، ووسع الصحن الشريف وابتنى سوراً مشيداً للبلدة[٤]، وبهذه المناسبة قيلت أبيات شعرية:

ثم أتاها ابن أخيه العضد
وجـــاد للبناء فـيـما يجد
فسيج الـروض بغير سياج
وسـتر الضريح بالديباج
وعـمّـر الأروقـــة المعظمة
ووسع الصحن لها ونظمه
وشيد السور من الحـذار
على الذين جـاوروا للدار
وذاك في الثمان والستينا
بـعـد ثـلاثـة مـئـة سنينا

(١) السماوي، وشايح السراء في شأن سامراء، ص٢٩٣ـ ٢٩٥.

(٢) أبو شجاع فناخسرو محمد ابن ركن الدولة الحسن بن بويه، ولد عضد الدولة بأصبهان سنة ٣٢٤هـ - ٩٣٢م، وليّ بعد عمه عماد الدولة وحكم العراق خمس سنوات، وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام، وأول من خطب له على المنابر بعد الخليفة في دار السلام، وهو أول من أضاف لقب شاهنشاه على المسكوكات البويهية، وكان فاضلاً محباً للفضلاء، وكان يعظم الشيخ المفيد غاية التعظيم، قصده فحول الشعراء في عصره ومدحوه ومن آثاره تجديد عمارة مشهد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف والبيمارستان العضدي في بغداد، وله منجزات عمرانية كثيرة غير ذلك منها إحكامه لكثير من البثوق وغرس الزاهد، وعمّر الكثير من القناطر والجسور، وبنى وجدد سور مدينة كربلاء، توفي في ٨ شوال سنة ٣٧٢هـ - ٩٨٢م. للمزيد من التفصيل عن حياته ومنجزاته ينظر :- الذهبي، شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٥٠ـ ٣٥١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٢٨.

(٤) المحلاتي، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، ج١، ص٣٢٤.

فازدهر التشييد والبنيان بها فأرخه (بدا عمران)[١]

ومن بعد هذه العمارة توالت العمارات والتجديدات على مدينة سامراء وسورها وخصوصاً مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام على شكل مراحل وحسب التسلسل الزمني للعصور الإسلامية، إلى أن تم آخر تجديد بعد ثورة عام ١٩٢٠م في العراق.

ومن الجدير بالذكر ان مدينة سامراء الحديثة وقبة مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام القائمة فيها وسورها المحيط بها قد شيدت على بقعة صغيرة فقط من مدينة سامراء التاريخية[٢].

وأصبح سور مدينة سامراء معلماً بارزاً ومحدداً حضارياً، حيث كان من أهم مقومات حماية الفرد والجماعة داخل المدينة، وقد شاهده الكثير من السياح والرحالة والمستشرقين القدماء منهم والمحدثين، فقد ورد ذكره عند السيدة المس بيل عام ١٩١٨م بما نصه (سامراء بلدة صغيرة مسورة، جميلة النظر لدرجة مدهشة بقبة مشهدها الذهبية)[٣]. كما وصفته سائحة أخرى عام ١٩١٩م وقالت فيه: (سامراء من الخارج وكأنها حصن منيع من حصون القرون الوسطى، وهي تشبه النجف في وجود قبتها الذهبية وفي المنائر التي تعلو أسوارها الحجرية)[٤].

كما ورد ذكره بما نصه: (تقع سامراء الحديثة على جرف عالٍ، وهي الان محاطة بسور متين شيد على حساب شيعة الهنود المتنفذين، فأصبحت آمنة بفضل هذا السور الجديد، وتتألف البلدة من حوالي ٣٥٠ بيتاً)[٥].

المحور الثاني

اصلاحات السور

كما أوضحنا بأن سور مدينة سامراء الأول بني عام ٣٣٣هـ / ٩٤٤م من قبل ناصر الدولة الحمداني[٦]، وأتى بعده عضد الدولة البويهي ٣٦٨هـ - ٩٧٨م وجدد بناء السور وأصلحه، وهذه المرة الأولى التي يجدد بها السور[٧].

(١) السماوي، المصدر السابق، ص٣٠٠.

(٢) هرتسفيلد، تنقيبات سامراء، ج١، ص٩.

(٣) غروترود، بيل، العراق في رسائل المس بيل، ص٥٥.

(٤) درور، الليدي، على ضفاف دجلة والفرات، ص١٠٢.

(٥) البلداوي، تاريخ التشيع في سامراء، ص٨-٩.

(٦) الحسني، تاريخ العراق قديماً وحديثاً، ١٩٥٨، ص١١١.

(٧) المحلاتي، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٤.

العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

كما جدد بناء سور المدينة القائد أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري[١] عام ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م، الا إننا لا نعلم شيئاً عن أهمية هذا التجديد والزيادة هل كانت كبيرة أم صغيرة، وقد مرت على السور تجديدات وإصلاحات متعددة وخصوصاً في نهاية العصر العباسي والمغولي (الايلخاني) والجلائري الا إننا لا نعرف مدى أهمية وحجم تلك الإصلاحات؛ لأنها اندثرت تماماً، وفي بداية العصر العثماني أجري على السور اصلاحاً كبيراً حيث أشار له الرحالة الانكليز عندما وصفوا مدينة سامراء عام ١٥٩٨م بما نصه: (في وسط مدينة سامراء القديمة بنى العرب والأتراك سوراً طينياً شاهق الارتفاع)[٢]، وقد أصلح سور المدينة من قبل الأمير أحمد خان الدنبلي[٣] ويذكر ان هذا الأمير قد تصدى لعمارة المدينة ومراقدها المقدسة بعد أن أناط مهمة التجديد والاصلاح والتعمير والإشراف على العمل بالعالمين الكبيرين الميرزا محمد رفيع بن محمد شفيع الخراساني[٤]، والشيخ

(١) أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري قائد تركي الأصل، كان من مماليك بني بويه وخدم القائم العباسي فقدمه على جميع الأتراك وقلّده الأمور بأسرها وخطب له على منابر العراق وخوزستان، فعظم أمره وهابته الملوك وتلقب بـ (المظفر)، وهو أول من زاد في الأذان بـ (حي على خير العمل)، والبساسيري نسبة إلى بلدة بفارس يقال لها (بسا)، قتل أبو الحارث في بغداد عام ٤٥١هـ - ١٠٥٩م وطيف برأسه في بغداد وصلب قبالة باب النوبي. للمزيد ينظر: ابن خلكان، شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان، مجلد ٥، ص٦٣.

(٢) على ما يبدو أن سور مدينة سامراء أصلح وجدد في زمن السلطان سليمان القانوني، للمزيد من التفصيل عن هذا الموضوع ينظر: رحلة الأخوة الثلاثة (السير توماس والسير انتوني والسير شيرلي) إلى العراق سنة ١٥٩٨، ص ٥٥.

(٣) الأمير أحمد خان بن الأمير مرتضى قلي خان الثاني بن الأمير شهباز خان بن الأمير بهلول الملقب بحاجب بيك الثاني ابن قليج الملقب بحاجي بيك الأول الدنبلي أحد أمراء خوي في أذربيجان وكانت مدة إدارته خمسين سنة وستة أشهر، قتل في مدينة خوي سنة ١٢٠٠هـ -١٧٨٦م، وحمل إلى سامراء ودفن خلف المشهدين المقدسين، للمزيد ينظر: الأمين، أعيان الشيعة، ج٣، ص٢٣٦.

(٤) محمد بن رفيع بن محمد شفيع، خراساني الأصل أذربيجاني المسكن، عالم جامع وحبر كامل، من الأفاضل الأعلام في الفنون العلمية ولاسيما العقلية، لا نظير له في الزهد والعرفان، درس في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة على أكابر علمائها، وقد سافر إلى سامراء لتعمير مرقد الإمامين والمدينة. للمزيد من التفصيل ينظر: الأمين، المصدر السابق، ١٩٨٦، ج٩، ص٤٠٥.

محمد بن محمد باقر السلماسي[١]، وذلك سنة ١١٩٨هـ-١٧٨٤م، وتعد عمارة الدنبلي وإصلاحاته هي الأساس في عمارة مدينة سامراء الحديثة اليوم.

وقد أكمل إعمار سور المدينة وإصلاحه الشيخ زين العابدين بن محمد السلماسي عام ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م بأمر من العلّامة إبراهيم القزويني[٢]، لكن هذه الزيادة ظلت ناقصة وغير مكتملة إلى أن جاء الملك المفخّم النواب المعظم أمجد علي شاه الهندي ابن واجد علي شاه[٣] وذلك عام ١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م، حيث أنفق مالاً جزيلاً حتى أتمه وأكمله، وأرسل الملك المفخّم الأموال إلى العلّامة إبراهيم القزويني الوارد ذكره في عمارة الشيخ زين العابدين السلماسي، فتوجه السيد القزويني إلى سامراء لعمارة سورها إلى أن أتمه وأكمله بأحسن وجه.

وأصلح السور من قبل الشاه ناصر الدين القاجاري[٤] عام ١٢٨٥هـ

(١) محمد بن محمد باقر السلماسي نسبة إلى سلماس بلدة في إيران بأذربيجان الغربية، كان من زهاد العلماء المعروفين بالتقى والصلاح، وعرف بشدة ولائه لأهل البيت، وهو أول من انتقل من هذه الأسرة إلى العراق، وكان يتبعه من أهالي سلماس وأرومية خلق كثير، للمزيد من التفصيل ينظر:- الحائري، دائرة المعارف الشيعية العامة، ج١٠، ص٤٤١.

(٢) إبراهيم بن محمد باقر الموسوي القزويني الحائري، كان فقيهاً إمامياً مجتهداً أصولياً من اكابر المحققين ومشاهير المدرسين، انتقل مع أبيه من قزوين إلى كرمنشاه ثم إلى العراق، فدرس في كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، ومن اشهر مؤلفاته كتاب ضوابط الأصول، للمزيد ينظر:- حرز الدين، معارف الرجال، ج١، ص١٥.

(٣) أمجد علي شاه بن واجد علي شاه الملقب بنجم الدولة أبو المظفر مصلح الدين، ولد عام ١٨٠١م وحكم في الهند من سنة ١٨٤٢ - ١٨٤٧، وهي السنة التي توفي فيها، ويعد أحد ملوك دولة أوده التي حكمت من سنة ١٧٢٢ - ١٨٥٥م، ونواب أوده شيعة من أصل فارسي، والملك المفخم أمجد علي شاه هو عاشر ملوك هذه الدولة للمزيد من التفصيل :- ينظر: A. C. Bose، Hazrat Wajid Ali Shah، (Pelgachia، 1962)، P 42 - 43.

(٤) ناصر الدين شاه أحمد بن محمد شاه بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه القاجاري، أحد ملوك إيران، ولد في شهر صفر سنة ١٢٤٧هـ وولي الملك في ١٨ شهر شوال سنة ١٢٦٤هـ في تبريز، وكان أديباً وشاعراً، وله ديوان شعر بالفارسية، وألفت باسمه كتب كثيرة ومن أعماله أنه أول من أسس في إيران إدارة الضرب وإدارة البرق والبريد، ومعمل بنادق ومدرسة دار الفنون ونظم دوائر الجند، ورتب الوزارة؛ وتوفي ناصر الدين في سنة ١٣١٣هـ. للمزيد من التفصيل ينظر: الأمين، المصدر السابق، ١٩٨٦، ج٣، ص ١٢٠ - ١٢٢.

- ١٨٦٨م أثناء زيارته سامراء، إذ تعد هذه الزيارة مهمة جداً فيها فتحت إحدىٰ أبواب السور وسميت باسمه باب الناصرية، وأرسل ناصر الدين شاه القاجاري أحد علماء عصره المعروفين، وهو الشيخ عبد الحسين الطهراني، إلىٰ العراق للإشراف وتنفيذ مخطط عمراني واسع، ومن ضمنه مدينة سامراء، وخوله تخويلاً كاملاً في الصرف والتصرف.

إما الإصلاح والترميم الأخير الذي جرىٰ علىٰ هذا السور إبان ثورة ١٩٢٠، حيث تفيد المرويات التاريخية بأن الثوار حاصروا الحامية الانكليزية التي استقرت في داخل مدينة سامراء المسورة، حيث جاء في ذلك ما نصه: (في ٢٨ آب عام ١٩٢٠ كانت سامراء محاطة بسور متين فتقدم الثوار للهجوم علىٰ سامراء وطرد الانكليز منها، ولكنهم لم يستطيعوا دخول المدينة فحاصروها)[١] وكذلك ورد بهذا الشأن ما نصه: (سامراء بلد مسور فيها جامع تعلوه قبة مغشاة بالذهب، فيها بقية آثار ماتعة كائنة في الشمال والشرق حيث شن هجوم عليها من قبل جموع العرب الا أن الحراس البريطانيين الذين كانوا فيها صيروها بلداً آمناً أميناً)[٢]. إن الحصار والمجابهة التي بين الانكليز والثوار العراقيين في مدينة سامراء معمقة وبها أكثر من طرف[٣]. ويذكر أن الشيخ حاتم الهذال رئيس قبيلة تميم في بلد هجم هو وأفراد عشيرته علىٰ مركز قضاء سامراء وحاصروا الحاكم العسكري الميجر «بري» وضابط البليس «فورفو» وطلبوا منهما التسليم غير إنهما اعتصما وافراد الحامية داخل سور المدينة ودافع عنهما المواطنون باعتبارهما دخلاء عليهم هذا من شيم العرب[٤].

يتبين من النصوص المتقدمة أن الانكليز الذين استقروا في داخل المدينة حصنوها وأصلحوا الأجزاء المتداعية من سورها ليحموا أنفسهم من الثوار العراقيين.

(١) ينظر: الظاهر، تاريخ العراق السياسي الحديث، ٢٠١١، ج١، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٢) هولدين، ثورة العراق ١٩٢٠، ص٣٦٢-٣٧٤-٣٨٠.

(٣) للمزيد من التفصيل حول هذه الحادثة التي جرت داخل أسوار مدينة سامراء ينظر: الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٥، القسم الثاني، ص ٩٩-١٠٠.

(٤) الورد، أعلام العراق الحديث قاموس تراجم ١٨٦٩ـ١٩٦٩، ص٢٤١.

المحور الثالث

أولاً: وصف السور

كان يحيط بمدينة سامراء سور ضخم متين، يبلغ طول محيطه (٢) كيلومتر ولا يتجاوز قطره ما بين (٦٨٠) متراً و(٧٨٠) متراً[١]، وهيئته على شكل دائرة غير منتظمة لها زاويا وانعطافات و تعرجات[٢] (ينظر مخطط-١) ارتفاعه (٧) أمتار، يقدر سمكه بـ (١) متر، وبني بمادة الآجر والجص (ينظر شكل- ١)، ولهذا السور أربعة أبواب[٣]، وقد زود بأبراج عددها (١٩) برجاً دائري الشكل[٤] (ينظر شكل- ٢) لأن معظم الأبراج التي بنيت في أسوار المدن العراقية خلال العصر العثماني هي دائرية الشكل، وهذا ما وجدناه في ابراج سور مدينة كربلاء والنجف والسماوة والديوانية[٥]، ويتخلل هذه الأبراج نوعان من المزاغل، الأول هي المزاغل التقليدية التي تصمم لرمي السهام والنبال من خلالها، وتكون عادةً على شكل شق طولي صغير، أما النوع الثاني فيصمم على أن يتواءم مع حجم فوهة المدفع وعلى هذا يكون عبارة عن فتحة كبيرة تستوعب إطلاقة المدفع[٦] (ينظر شكل-٣)، ويوجد

(١) يختلف الباحثون والمؤرخون في تحديد قطر السور الذي يلف المدينة منهم من يحدده بـ ٦٨٠ متراً والاخر بـ ٧٨٠ متراً. للمزيد من التفصيل ينظر: المحلاتي، المصدر السابق، ١٤٢٦، ص٢٠٠، يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، ١٩٨٢، ص٣١٥.

(٢) إن وضع تعرجات وعقبات أمام المهاجمين على شكل انحناءات وانعطافات والإكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بالسور يجعل الجند المهاجمين يندفعون ويتقدمون داخل هذه الزوايا فيرد عليهم المدافعون من أعلى السور فيفتكون بهم فتكاً ذريعاً، إذ تسمى هذه الطريقة بالعمارة الإسلامية نظام الزمبرك. للمزيد ينظر: سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، ١٩٩٢،ج٢، ص٥٩٩. على الرغم من أن بعض الباحثين ذكروا خطأً أن هذه الانحناءات والتعرجات ليس لها أي دور دفاعي وأنهم يجهلون سبب عدم انتظام الشكل الهندسي للسور، للمزيد من التفصيل حول هذا الخطأ ينظر: الدراجي، سعدي، تحصينات المدن العراقية في العصر العثماني وأهم منشآتها العسكرية دراسة أثرية عمارية، ٢٠١٨، ص٢٩٠-٢٩١.

(٣) ينظر: المنصوري، سامراء في السالنامات العثمانية دراسة في أوضاعها العامة ١٨٤٩م - ١٩١٧م، ص٢٤.

(٤) المحلاتي، المصدر السابق، ص٢٠٠.

(٥) الميالي، رجوان فيصل، تحصينات واستحكامات مدينة الديوانية خلال العهد العثماني: دراسة آثارية وتاريخية، ص ١٣٥.

(٦) حتى تتم عملية توصيل المدفع إلى أعلى السور لابد من وجود سلالم عريضة تتسع للمدفع وحامله، علماً أن أبعاد المدفع في تلك الفترة كانت لا تتجاوز المتر الواحد؛ لهذا يصمم السور على وفق تلك الأبعاد.

في أعلى السور شرفات أو كما تسمى (عرائس السماء)، وهي عنصر عماري ظهر في العمارة الإسلامية الأولى واستمر بالظهور والتطور تدريجياً، الغرض من وضعها في اعلى السور هو زيادة التحصين والاستحكام، كما يتيح للمدافعين عن المدينة زاوية رؤيا ومراقبة واضحة، أما من داخل المدينة فقد زود السور بعدد كبير جداً من الدعامات التي تسنده وتزيد من تماسكه وقوته (ينظر شكل - ٤).

ثانياً: الأبواب

فتحت في سور المدينة أربعة أبواب توزعت على جهاتها الأربع الاصلية بنيت جميعها بنفس الطراز والمواصفات، تتقدم جميعها وتخرج من سمت السور الخارجي إلى الامام بمسافة تقدر بـ (٥) أمتار، وهذه حالة رائدة في فن العمارة التحصينية لما لها من فوائد حربية قد تعطي المدافعين دقة في الإصابة وتكشف زاوية النظر الامامية (ينظر شكل - ٥)، ومن خلال الصور تبين أنّ هذه الأبواب كانت عبارة عن مبنى معماري متكامل، حيث يتكون من حجرات متقابلة تستخدم لسكن الحرس ولخزن الأسلحة والأعتدة، ولكل بوابة واجهة مرتفعة عن سور المدينة بارتفاع يقدر بـ (٣) أمتار، وقد زينت هذه الواجهة من الخارج بحنايا صماء تعلوها عقود مدببة، كما عمل المعمار على التلاعب بوضعية الآجر مما أنتج منه أشكالاً هندسية مثل المعينيات والمربعات والأشكال المحرابية، علماً أن هذه الأبواب لها مداخل مستقيمة وتتحكم بها أبواب معمولة من الحديد، والباب الواحدة تتكون من مصراعين يقدر عرضها (٢) متر وارتفاعها (٣) متر (ينظر شكل - ٦)، وهذه الأبواب هي كالآتي:

١- باب القاطول[١]: ويسمى أيضاً باب الساقية؛ لأن أحد الأغنياء والميسورين أقام عنده كرداً على النهر ليدفع الماء عالياً إلى الساقية، وتدخل من هذا الباب وتصب قرب باب الصحن الشريف، والمسافة من نهر دجلة إلى مرقد الإمامين هي (٩٢٠) متراً ويسمى أيضاً بالباب الغربي؛ لأنه يقع غربي المدينة ويؤدي بشكل مباشر إلى نهر دجلة الرئيس بمسافة تقدر (٥٠٠) متر،

(١) القاطول اسم نهر كأنه فرع مقطوع من نهر دجلة، وكان الرشيد جدد حفره وسماه بالقاطول، وبنى على فوهته قصراً أسماه (باب الجنة) لكثرة ما كان يسقي من الأرضين. للمزيد ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص٢٩٧. وينظر: الربيعي، نظام الري والإصلاح الزراعي في العراق خلال العصر العباسي، ٢٠١٢، ص ٨٨ - ٩٧ - ٩٩.

ويقع حالياً عند شارع البنك وتقاطعه مع شارع مريم ومن الجدير بالإشارة في عام ١٩٣٦ هدمته الحكومة وبنت منه صرحاً لها وداراً للبلدية ومستشفى للآهلين ومدرسة للبنين ونادياً للموظفين ودائرة للبرق والبريد، وعلى ما يبدو أن قسماً من هذه المنشآت المعمارية بنيت بالمواد البنائية المستخرجة من باب القاطول، وهذا ان دل على شيء إنما يدل على كبر حجم بناء البوابة ومتانتها.

٢- باب بغداد: سمي بهذا الاسم لكونه يقع في الجهة المقابلة لمدينة بغداد، ويسمى أيضاً بالباب الشرقي؛ لأنه بشرقي مدينة سامراء، يقع حالياً في منطقة البو باز وحولته الحكومة إلى متحف محلي تعرض فيه نماذج الآثار المستخرجة من الحفريات[١].

٣- باب الناصرية: سمي بهذا الاسم نسبة إلى ناصر الدين شاه الذي زار سامراء وأقام فيها مهرجاناً عند الفسحة المقابلة لهذا وهو جنوب المدينة[٢]. ويسمى أيضاً باب الحاوي، يقع حالياً عند تقاطع شارع الشواف بشارع القصابين.

٤- باب الملطوش: ويسمى المردوم؛ لأنه كان مسدوداً في وقت من الأوقات، وهوالباب الشمالي، ويقع حالياً عند تقاطع شارع القبلة مع شارع البو رحمن.

الاستنتاجات

- مدينة سامراء القديمة لها شهرة عالمية ومكانة تاريخية مهمة.

- إن مدينة سامراء الحديثة قامت على جزء من أنقاض مدينة سامراء القديمة التاريخية.

(١) من الجدير ذكره هنا أن من أكثر المنقبين والآثاريين الذين عملوا ونقبوا في آثار سامراء القديمة والحديثة اثنين هم العالم الألماني هرتسفيلد الذي بدأ العمل عام ١٩١٢ ولم يستطع مواصله تنقيباته بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى، وفي عام ١٩٣٠ استؤنف العمل ونقب في أطلال هذه المدينة وكتب عنها الكثير ويعد مرجعاً آثارياً وتاريخياً عن سامراء، والعالم الثاني هو الدكتور البريطاني الستر نورثج، ويعد الشخص الثاني من حيث الأهمية بعد هرتسفيلد، حيث أعطى الستر نورثج في كتاباته وأبحاثه الميدانية والنظرية مدينة سامراء اهتماماً بالغاً، ولكن ما نود قوله هنا بأن الاثنين لم يعطوا مدينة سامراء الحديثة اهتماماً كبيراً وخصوصاً السور وأبوابه. للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: North edge، Alastair، Derek، Kennet، Archaeological Atlas of Samarra Samarra studies، the British Academy، London، sw، 45AH، 2015، Vol، 11، 2، P.P 203 - 209.

(٢) ينظر: بابان، المصدر السابق، ج١، ص١٤٩.

مجلة آثار سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

- لم يفكر خلفاء بني العباس في بناء سور حول مدينة سامراء القديمة التاريخية، وذلك اعتقاداً منهم بأن المدينة لن تتعرض للهجوم خلال مدة حكمهم.

- استمرت مدينة سامراء الحديثة بالبقاء بسبب وجود مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام؛ لأن مرقدهما أصبح نواة المدينة الحديثة ومن حولهما بدأت العمارة بالظهور والتطور.

- توصل البحث إلى أن أول سور لمدينة سامراء في القرن الرابع الهجري، ثم جرت عليه عدة إصلاحات لحماية المدينة من التعديات الخارجية.

- من خلال البحث تبين أن هذا السور مبني وفق نظام أسوار المدن العراقية الأخرى، حيث يتشابه مع الكثير من تلك الأسوار وعناصرها العمارية والعسكرية.

- كشف لنا البحث عن نوعية مواد البناء المستخدمة في السور، وهي الآجر والجص والطين، وكذلك عن أبعاده وقياساته وارتفاعاته.

المصادر والمراجع

١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩، ج١٠ .

٢) ابن خلكان، شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان، حققه إحسان عباس، دار صادر للمطبوعات، بيروت، مجلد ٥ .

٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، حققه وأخرجه حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦، ج٩.

٤) بابان، جمال، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، مطبعة الأجيال، بغداد، ١٩٨٩، ج١.

٥) باقر، طه، سفر، فؤاد، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة من الثانية إلى السادسة.

٦) البلداوي، أياد عيدان، تاريخ التشيع في سامراء، مؤسسة البلداوي للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، الكاظمية، ٢٠٠٨.

٧) الحائري العلّامة الشيخ محمد حسين، دائرة المعارف الشيعية العامة، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت،

١٩٩٢، ج١٠.

٨) حرز الدين، محمد، معارف الرجال، مطبعة الاداب، النجف الأشرف، ١٩٦٤، ج١.

٩) الحسني، عبد الرزاق، تاريخ العراق قديماً وحديثاً، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٥٨.

١٠) الحموي، الشيخ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ٢٠١٥، ج٣.

١١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ٢٠١٥، ج٤.

١٢) الدراجي، سعدي، تحصينات المدن العراقية في العصر العثماني وأهم منشآتها العسكرية دراسة أثرية عمارية، طبع دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠١٨.

١٣) درور، الليدي، على ضفاف دجلة والفرات، ترجمة فؤاد جميل، طبع شركة دار الوراق، لبنان، بيروت، ٢٠٠٨.

١٤) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ج١٢.

١٥) الربيعي، بلقيس عيدان، نظام الري والإصلاح الزراعي في العراق خلال العصر العباسي، طبع دار الشؤون الثقافية العراقية، بغداد، ٢٠١٢.

١٦) رحلة الأخوة الثلاثة (السير توماس والسير انتوني والسير شيرلي) إلى العراق سنة ١٥٩٨، ترجمة أنيس عبد الخالق محمود، مجلة دراسات تاريخية، العدد (٣٥)، السنة الثانية، ٢٠١٣.

١٧) سالم، محمود عبد العزيز، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي للطباعة، بيروت، ١٩٩٢، ج٢.

١٨) السامر، فيصل، تاريخ الدولة الحمدانية في الموصل، ساعدت على طبعه جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٣.

١٩) سامراء، إصدار الآثار العراقية القديمة، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٠.

٢٠) السماوي، العلّامة الشيخ محمد بن ظاهر، وشايح السراء في شأن سامراء (أرجوزة في تاريخ سامراء)، مطبعة دار الكفيل، العراق، كربلاء المقدسة، ٢٠١٤.

٢١) الظاهر، جواد، تاريخ العراق السياسي الحديث، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١، ج١.

٢٢) العلي، صالح أحمد، سامراء

دراسة في النشأة والبنية السكانية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠١.

٢٣) العميد، طاهر مظفر، العمارة العباسية في سامراء، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦.

٢٤) غروترود، بيل، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة جعفر الخياط، تعليق عبد الحميد العلوجي، منشورات وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧.

٢٥) المحلاتي، الشيخ ذبيح الله، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، مطبعة شريعت قم، ١٤٢٦هـ، ج١.

٢٦) مطر، سليم، ثويني، علي، مروان، نصرت، موسوعة المدائن العراقية، منشورات مركز دراسات الامة العراقية، ميزويو تامبا، بغداد، ٢٠٠٥.

٢٧) المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم، التكملة في وفيات النقلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١، مج٣.

٢٨) المنصوري، سامي ناظم، سامراء في السالنامات العثمانية دراسة في أوضاعها العامة ١٨٤٩م ـ ١٩١٧م، مركز تراث سامراء، مطبعة دار الكفيل، العراق، ٢٠١٧.

٢٩) الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر والطباعة، بغداد، ١٩٨٢.

٣٠) الميالي، رجوان فيصل، تحصينات واستحكامات مدينة الديوانية خلال العهد العثماني: دراسة آثارية وتاريخية، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٤٦، حزيران، ٢٠١٨.

٣١) هرتسفيلد، أرنست، تنقيبات سامراء، ترجمة علي يحيى منصور، المؤسسة العامة للاثار والتراث، بغداد، ١٩٨٥، ج١.

٣٢) هولدين، سر المر، ثورة العراق ١٩٢٠، ترجمة فؤاد جميل، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠.

٣٣) الورد، باقر أمين، اعلام العراق الحديث قاموس تراجم١٨٦٩ـ ١٩٦٩،ج١، مراجعة الدكتور ناجي معروف، ساعدت على نشره وزارة الثقافة والفنون ،بغداد ، ١٩٧٨.

٣٤) الوردي، علي، لمحات اجتماعية

من تاريخ العراق الحديث، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، ١٩٧٨، ج٥، القسم الثاني.

٣٥) اليعقوبي، أحمد بن اسحاق، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.

٣٦) يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٢.

المصادر الاجنبية

1) A. C. Bose، Hazrat Wajid Ali Shah، (Pelgachia، 1962).

2-B.R.Restricted، Iraq and the Persian culf، naval inellicence، division، septemer، 1944.

3) North edge، Alastair، Derek، Kennet، Archaeological Atlas of Samarra Samarra studies، the British Academy، London، sw، 45AH، 2015، Vol، 11، 2.

(مخطط رقم – ١)

مخطط يظهر فيه سور مدينة سامراء وأبراجها/ عمل الباحث

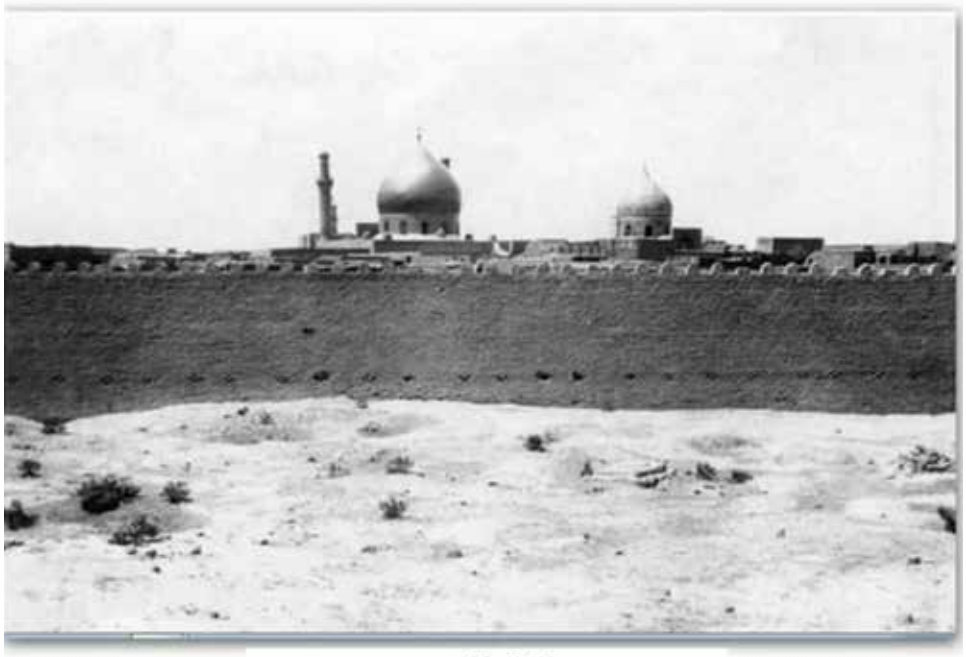

(شكل رقم - ١)

سور مدينة سامراء القديمة تظهر خلفه قبة الإمامين العسكريين عليهما السلام

(شكل رقم - ٢)

مدينة سامراء القديمة وسورها

(شكل رقم - ٣)

مزغل رمي خاص لإطلاق قذائف المدفع

(شكل رقم - ٤)

الدعامات التي تسند سور المدينة من الداخل

(شكل رقم – ٥)
أحد مداخل سور مدينة سامراء القديمة
ويعلوه صف من الشرفات

(شكل رقم – ٦)
احدى البوابات الحديدية في مدخل
سور مدينة سامراء القديمة